مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث
Journal of Scientific Development for Studies and Research (JSD)
P- ISSN 2709-1635 E-ISSN 2958-7328

المجلد 4 / العـدد: 14 (2023)، Volume 4, Issue 14
ص 217 – 239

سياسات الغرب في طمس الهوية العربية في أفريقيا – السودان الغربي نموذجا –

الكوري المامي *

معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (موريتانيا)

مختبر التاريخ والتراث – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة ابن الطفيل (المغرب)

Western policies to obliterate the Arab identity in Africa -Western Sudan as a model-

EKORY ELMAMY

https://orcid.org/0009-0006-1516-5221

Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers (Mauritania)
History and Heritage Laboratory. Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tufail University (Morocco)

تاريخ الاستلام: 2023/03/12 تاريخ القبول: 2023 /04/05 تاريخ النشر: 2023 /06/01

ملخص:

يسعى هذا الجهد البحثي إلى الوقوف على السياسات التي انتهجها الأروبيون من أجل طمس الهوية العربية في أفريقيا (بلاد السودان الغربي نموذجا)، وكيف توزعوا الأدوار ليسلبوا المنطقة هويتها الثقافية والدينية إلى جانب نهب خيراتها ومقدراتها الاقتصادية.

لقد شكل الأوربيون من خلال سياستهم التغريبية وأهدافهم التوسعية تحديا كبيرا للثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا عموما، وفي بلاد السودان الغربي في التاريخ المعاصر على وجه الخصوص، وتعاضدت عوامل التأثير التي استخدموها لهذا الغرض؛ من احتلال فعلي للأرض وغزو ثقافي لشعوبها وشن حملات تنصير ممنهجة لتكرس واقعا جديدا في المنطقة مناقضا لما كانت عليه سابقا، من انتشار وازدهار للغة والثقافة العربية الإسلامية إبان العصر الوسيط وما بعده. ونجحت تلك السياسات إلى حد كبير في تحقيق أهدافها لتغيير واقع المنطقة الثقافي وخريطتها الساسية والجغرافية.

كلمات مفتاحية: السودان الغربي، الهوية الثقافية، الاستعمار، التنصير، الغزو الثقافي.

Abstract:

This research effort seeks to identify the policies adopted by the Europeans to obliterate the Arab identity in Africa (the country of Western Sudan as a model), and how they distributed roles to rob the region of its cultural and religious identity in addition to plundering its economic resources and capabilities.

* **المؤلف المرسل.**

Through their western policies and expansionist goals, Europeans have posed a major challenge to the Arab-Islamic culture of Western Sudan in contemporary history, as the factors of influence they used were mutually reinforcing; form the actual occupation of the land, a cultural invasion of its peoples, and the launching of systematic evangelization campaigns, to enshrine a new reality in the region, contradicting the previous of the Arab-Islamic language and culture during the Middle Age and beyond. Those policies have, to a large extent, succeeded in achieving their goals to change the cultural reality of the region and its political and geographical maps.

Keywords: Western Sudan, identity, colonialism, Christianization, cultural invasion.

مقدمة:

مثل القرنان التاسع عشر والعشرون فترة انعطافة كبرى لبلاد السودان الغربي من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بما شهداه من استمرار لجهود نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية التي تعززت وازدهرت وتوسعت في أغلب مناطق البلاد، وقد تزامن كل ذلك مع تحولات أخرى في السياسات الغربية اتجاه المنطقة جعلت منها محط اهتمام وتركيز.

فقد كان القرن التاسع عشر هو فترة دخول المستعمر الأروبي إلى بلاد السودان الغربي وبسط نفوذه على كامل الأرض في المنطقة، ونشأ عن ذلك تحول سياسي واقتصادي واجتماعي عم أغلب أنحاء هذه البلاد.

كما شهد النصف الأخير من القرن العشرين تحرر الشعوب في المنطقة من نير الاستعمار، حيث تكللت جهود حركات التحرر والمقاومة بقيام دول وطنية حديثة في معظم أنحاء بلاد السودان الغربي، فتشكلت جراء ذلك خريطة سياسية وديمغرافية جديدة.

هذه التطورات والأحداث التاريخية جديرة بالدراسة والتمحيص بشكل يبحث في تداعياتها ومترتباتها، وقوفا على مستوى الحضور والتأثير الأوربي في المنطقة، ورصدا لما اعتمده الأوربيون خلال القرنين السابقين من سياسات تهدف إلى بسط سيطرتهم ونفوذهم على دول المنطقة.

الإشكالية المعالجة في الدراسة:

نسعى في هذه الدراسة إلى معالجة إشكالية جوهرية تطرح نفسها في الوقت الراهن بإلحاح على مستوى أفريقيا الغربية (جنوب الصحراء)، ويتمثل موضوع هذه الإشكالية في مسألة الهوية العربية الإسلامية لبلاد السودان

الغربي، وجهود القوى الغربية لطمس تلك الهوية والتحديات الناجمة عن كل ذلك، فما هي أبرز ملامح السياسات الغربية للتأثير على الهوية العربية الإسلامية في السودان الغربي؟ وإلى أي حد نجحت تلك السياسات؟ وماذا كان رد فعل شعوب المنطقة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا البحث في دراسته لواحد من أبرز المواضيع المطروحة في **منطقة غرب أفريقيا** في الوقت الراهن، وهو موضوع **الهوية الثقافية والدينية،** وتندرج في هذا السياق الدعوات المتصاعدة والرافضة **للمستعمر وهيمنته السياسية والثقافية واللغوية،** والمطالبة بالعودة إلى **الثقافة الإسلامية وترسيم اللغة العربية،** في مقابل تحديات الواقع القائمة في معظم دول المنطقة المكرسة **للثقافة واللغة الغربية،** وما يترتب على ذلك من تجاذبات بخصوص **المناهج التعليمية** وتأثير ونفوذ للتيار **الفرنكفوني والأنجلوسكسوني** مجسدا في البنى الفوقية **إدارة ومؤسسات وبرامج.**

أهداف الدراسة:

تتحدد الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة في الآتي:

1. معرفة الأبعاد الاستراتيجية لتأثير ونفوذ القوى الأوربية في بلاد السودان الغربي.
2. رصد أهم العوامل والسياسات الغربية المعتمدة في طمس الهوية الدينية والثقافية لمنطقة غرب أفريقيا.
3. التأصيل التاريخي لدور الثقافة الإسلامية واللغة العربية ومكانتها الدينية والثقافية لشعوب المنطقة.
4. الإسهام من منظور تاريخي ومنهجي في جهود التعريب، ودعم المساعي الهادفة إلى إعادة الاعتبار للثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا الغربية.

المنهج العلمي المعتمد في الدراسة:

يتطلب الحديث عن هذا الموضوع الهام اختيار منهجية علمية مناسبة، وبما أن البحث ذو طبيعة مركبة تتداخل فيه الأبعاد المعرفية معطيات ومعلومات والأبعاد التحليلية قراءة واستنتاجا إلى جانب البعد التوثيقي. فإن المنهجية العلمية التي تم اعتمادها في هذه الدراسة هي:

المنهج الوصفي: باعتباره منهجا رئيسيا في هذا المجال، حيث تم جمع المعلومات ورصدها وعرض المعطيات والحقائق المتعلقة بمدى النفوذ الغربي في بلاد السودان الغربي وملامح السياسات الغربية المعتمدة لطمس الهوية، وفق أسلوب موضوعي يتوخى الأمانة توثيقا وعزوا وإسنادا للمصادر والمراجع العلمية.

المنهج التحليلي: باعتباره مساعدا في تفسير الوقائع والمعلومات المعروضة عن السياسات الغربية وعوامل تأثيرها في الثقافة والهوية العربية الإسلامية لبلاد السودان الغربي، ودراسة الإشكالات والاختلالات الناجمة عنها، بشكل يمكن من التقويم العلمي للمعلومات والمعطيات المرصودة والحكم عليها، إلى جانب ما يتطلبه العمل أحيانا من إعادة تركيب تستنتج وتستجلي وتقرأ في الخلفيات، وتمكن من تقديم خلاصات ونتائج عند الاقتضاء.

مدخل: لمحة تعريفية عامة عن بلاد السودان الغربي:

يعتبر السودان الغربي جزءا مهما من منطقة أفريقيا جنوب الصحراء، أو منطقة الساحل، ويمتد الشريط المسمى بهذا الاسم من سواحل المحيط الأطلسي غربا إلى ضفاف نهر النيجر شرقا، وشمالا وجنوبا في المساحة ما بين الصحراء الكبرى وحتى إقليم الغابات المطيرة، أو ما يسمى أحيانا بمنطقة السافانا.

ويعتقد البعض خطأ أن الأوروبيين هم أول من أطلق هذا المصطلح على هذه المنطقة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فقد أورد المؤرخ والرحالة ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، تحديدا لجغرافية المنطقة حيث يقول: "أمّا جنوبي الأرض من بلاد السودان؛ فإنّ بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتفّ (...)، غير أنّ حدّاً له ينتهي إلى البحر المحيط، وحدّاً له ينتهي إلى برّيّة بينه وبين أرض المغرب، وحدّاً له ينتهي إلى برّيّة بينه وبين أرض مصر"[1].

وتبعا لذلك فإن الجغرافيين العرب يطلقون مصطلح السودان الغربي على "المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقا وجنوب الصحراء الكبرى شمال خط الاستواء بين خطي عرض 11 و17 درجة شمالا. وتمثل هذه المنطقة الخط الموازي (جنوبا) لبلاد المغرب وتفصل بينهم الصحراء الكبرى"[2].

وعلى هذا يمكن القول إن المنطقة هي أحد أجزاء إقليم غرب أفريقيا كما هو معروف في مصطلح اليوم، فقد عُرف إقليم السودان الغربي حديثا باسم (غرب أفريقيا)، وهو يحتوي على مجموعة دول هي: بوركينا فاسو، الرأس الأخضر، غامبيا، غانا، سيراليون، السنغال، موريتانيا، مالي، النيجر، تشاد، ساحل العاج، نيجيريا[3].

المبحث الأول

العوامل الرئيسية للسياسات الغربية في بلاد السودان الغربي

تعددت عوامل التأثير على الهوية في بلاد السودان الغربي، وتنوعت أساليب ومجالات طمس الانتماء الحضاري في هذا الفضاء الذي تشبع، إبان العصر الوسيط وما بعده، بالحضارة والثقافة الإسلامية العربية.

وكان من أبرز عوامل التأثير السلبي على الثقافة الإسلامية العربية في المنطقة ثلاثة رئيسية هي: الاستعمار، الفرنكفونية، التنصير. فكيف كان ذلك؟

1.الاستعمار والحرب على الهوية:

وقعت أغلب أنحاء بلاد السودان الغربي، كما هو معروف، تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي نال نصيب الأسد من المستعمرات الغربية في المنطقة باستثناء جيوب محدودة هنا وهناك كانت تحت الاحتلال الإنجليزي (غامبيا، سيراليون، غانا، نيجيريا)، أو السيطرة الألمانية (التوغو)، أو الاحتلال البرتغالي (غينيا بيساو).

وسنكتفي هنا – تفاديا للإطالة – بالحديث عن الاستعمار الفرنسي لبلاد السودان الغربي بوصفه الأقوى والأشد تأثيرا، ذلك أن فرنسا كان لها نصيب الأسد من الأراضي المحتلة في المنطقة أولا، ولقوة هيمنتها وجبروتها وسطوتها أيضا على مستعمراتها ثانيا، ولكونها تعد نموذجا للقوى الامبريالية الكولونيالية خلال الفترة ثالثا.

والحقيقة أن الاستعمار الفرنسي هو غزو ثقافي بالدرجة الأولى قبل أن يكون احتلالا للأرض ونهبا لخيراتها، فهو يستهدف بالأساس طمس الهوية الدينية والثقافية للشعوب المحتلة، لذلك أولى الفرنسيون الهوية العربية والإسلامية جزء كبيرا من حربهم الشعواء على الروح الثقافية والدينية لشعوب المنطقة، وأخذت هذه الحرب مظاهر متعددة ومتنوعة منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ قتل العلماء والتضييق على النشاط الديني: في أنحاء متعددة من القارة، وخصوصا في السنغال ومالي وفي اتشاد التي قتل فيها الفرنسيون قرابة 400 عالم ذبحا بالسواطير فيما عرف بمجزرة كبكب الشهيرة[4].
- ✓ منع التواصل الثقافي بين غرب إفريقيا والمشرق العربي من خلال محاصرة البعثات والرحلات العلمية التي كانت قناة الوصل الثقافي بين المشرق والغرب الإفريقي، والتضييق على رحلات الحج، ويمكن التمثيل لذلك بالضغوط التي قام بها الفرنسيون لأجل استعادة تلاميذ الشيخ الحاج محمود با الذين أرسلهم إلى الأزهر لدراسة اللغة العربية والشريعة الإسلامية وإرغامهم على العودة إلى بلدانهم في السنغال وموريتانيا ومالي، وما رافق ذلك من حملة تشويهية للشيخ بأنه كان ينوي بيع الطلاب في سوق النخاسة في الشرق الإسلامي[5].
- ✓ ربط القيم المادية والمكانة الاجتماعية بالثقافة الغربية والمدرسة العصرية ومحاربة التعليم الديني بكل وسيلة. وذلك عن طريق "إعلاء شأن الحضارة الأوروبية وربط التمسك بها بعجلة التقدم والتحضر والمدنية وما يترتب على ذلك من نفور بعض المسلمين من حضارتهم ودينهم وقيمهم الإسلامية كلها"[6].

وكان من أهم الأعمال التي قام بها المستعمر في محاولاته تلك هو إبعاد اللغة العربية عن الإدارة والتعليم خلال الفترة الاستعمارية، وتوريث هذا الإبعاد للأنظمة المحلية، التي تولت الحكم بعد الاستقلال، وقد أولى هذه

المسألة فائق الاهتمام والمتابعة، ووضع لذلك الخطط والبرامج، وأنفق الأموال واتخذ أساليب الحيل والخداع في كل محاولاته تلك لطمس الهوية الثقافية العربية للمنطقة.

"ومع سطوع شمس الحضارة الغربية على أنقاض ما سبقها من حضارات انفتحت الأبواب واسعة أمام اللغات الأجنبية الغربية... فحوصرت اللغة العربية وأطلقت اليد للغازي ليسعى سعيه لإضعاف اللغة العربية، والتمكين للغته وذلك من خلال:

- جعل اللغة الأجنبية لغة الإدارة
- تدريس اللغات الأجنبية في المدارس النظامية
- تغييب اللغة العربية في اللقاءات الرسمية والديبلوماسية والمراسلات
- تغيير المناهج التعليمية وحصر تدريس اللغة العربية في المواد الدينية دون المواد العلمية"[7].

وهكذا يتبين أن محاصرة الثقافة الإسلامية واللغة العربية كانت من صميم أهداف المستعمر الفرنسي في السودان الغربي في إطار سياسته الامبريالية التوسعية، ولتأكيد ذلك يقول الجنرال بول مارتي، في كتابه "مغرب الغد" (Le Maroc de demain): "كل تعليم عربي وكل تدخل من قبل الفقيه وكل ظاهرة إسلامية يجب محاربتها بصرامة تامة، وبذلك نجذب إلينا الأطفال عن طريق مدارسنا وحدها"[8].

لقد كان الهدف الأساسي للاستعمار إذن هو "استئصال اللغة العربية التي تحول بينه وبين تحقيق أهدافه، واستعمل في سبيل ذلك حيلا خداعية ووسائل مادية"[9]. وتطبيقا لهذا الهدف أصدر المستعمر الفرنسي عدة قرارات لوضع حد للغة العربية في مختلف أنحاء مستعمراته ببلاد السودان الغربي.

ففي السنغال التي كانت تمثل مقر الارتكاز لسياسات فرنسا التوسعية في المنطقة، وحيث كان يوجد الحاكم العام المكلف بالمستعمرات في غرب أفريقيا، أصدر المستعمر الفرنسي القرارات التالية[10]:

- وجوب القبض على أي شيخ داعية أو عالم أجنبي يقوم بالوعظ والإرشاد الديني
- لا يمكن فتح مدرسة قرآنية بعد الآن إلا برخصة موقعة من طرف الحاكم أو من يقوم مقامه.
- يجب على كل معلم للتعليم العربي الإسلامي أن يصاحب تلاميذه إلى المدارس الفرنسية، ومن لم يفعل سيعاقب.
- هذه المدارس (يعني المدارس الإسلامية) قابلة للإغلاق إذا رأى ذلك الحاكم العام أو مدير الشؤون الخارجية.

وفي موريتانيا تبدو صورة أخرى تكشف أكثر عن عمق السياسة الفرنسية حيال هوية وثقافة المنطقة وما تحظى به من استهداف ممنهج ومدروس من قبل المستعمر، حيث ركزت فرنسا مجهودها على محاربة المحظرة، بوصفها المعلم الديني البارز لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فقد تم العثور في الوثائق الفرنسية بدكار على تقرير لأحد الإداريين الفرنسيين، ونصه: "لقد ظلت المحاظر تمثل العرقلة الأساسية لانتشار التعليم العمومي الذي تسعى فرنسا إلى نشره بين الجماهير، هذا بالرغم من أن عددا من التلاميذ كانوا يرهقون قواهم ويتابعون دراستهم في المحاضر، وفي المدارس العمومية، وقد حاولت الحكومة منذ سنة 1903 تقنين المدارس القرآنية بإخضاعها للرقابة وتهديدها بالإغلاق، حفاظا على الأمن وإرغامها على إجراء امتحان للمعلمين بها وإنشاء لجنة للمراقبة ووضع سجل مدرسي وترك الحرية للتلاميذ في أداء الواجب مع منع الاكتتاب، وطرد كل التلاميذ البالغ عمرهم ما بين السادسة والسادسة عشرة في أوقات افتتاح المدارس القرآنية، ومن جهة أخرى فإن المرسوم المحلي الصادر في 1906/06/02 قد قرر منح منحة سنوية قدرها 300 فرنك لكل شيخ يخصص ساعتين في اليوم لتعليم اللغة الفرنسية، ولكن القرار بقي دون تنفيذ، ذلك لأنه لم يتقدم أي شيخ بطلب الاستفادة من المنح التي قدمتها الدولة"(11).

هذا التقرير يبين السياسات الفرنسية اتجاه الصرح العلمي المعروف بالمحظرة. ويمكن استجلاء هذه السياسات من خلال التقرير في النقاط التالية:

- ✓ اعتبار المحاظر تمثل العرقلة الأساسية لانتشار التعليم العمومي الذي تسعى فرنسا إلى نشره بين الجماهير.
- ✓ انتهاج سياسة التضييق على المحاظر منذ الوهلة الأولى لاحتلال البلاد (1903)، وذلك بتقنين المدارس القرآنية وإخضاعها للرقابة وتهديدها بالإغلاق، وإخضاعها للإجراءات الاعتيادية المعروفة في التعليم النظامي (اكتتاب المعلمين عبر المسابقات، إنشاء لجان للمراقبة، وضع سجلات مدرسية، ترك الحرية للتلاميذ في أداء الواجب، منع الاكتتاب).
- ✓ محاولة إفراغ المحظرة من محتواها التربوي والثقافي والعلمي المقدم للأجيال، وذلك بطرد كل التلاميذ البالغة أعمارهم ما بين السادسة والسادسة عشرة.
- ✓ السعي لإدخال اللغة الفرنسية إلى مقررات المنهج التعليمي للمحاظر وذلك من خلال إصدار مرسوم محلي بتقديم منحة سنوية قدرها 300 فرنك لكل شيخ يخصص ساعتين في اليوم لتعليم اللغة الفرنسية .

ويختم التقرير بجملة مهمة تعبر بشكل واضح عن فشل السياسة الفرنسية في التأثير على نفسيات وقناعات شيوخ المحاظر رغم الإغراءات، ورغم حاجاتهم المادية فلم يقدهم ذلك إلى قبول الرشى المقدمة، حيث يقول النص: **"ولكن القرار بقي دون تنفيذ، ذلك لأنه لم يتقدم أي شيخ بطلب الاستفادة من المنح التي قدمتها الدولة".**

وعموما فإن الاستعمار الغربي (خصوصا النسخة الفرنسية منه) وسياسته التغريبية وأهدافه التوسعية الرامية بالأساس إلى الغزو الثقافي للشعوب قد شكل تحديا كبيرا للثقافة الإسلامية والعربية للمنطقة، ووصلت محاولاته تلك لطمس الهوية إلى حد منع السلطات الفرنسية مواطنيها الموجودين بالدول التي تحتلها من مخاطبة سكان تلك الدول بغير اللغة الفرنسية مهما كانت الظروف والملابسات.

2.جهود الفرنسة.. ومحاولات طمس الهوية:

سنكتفي هنا بالحديث عن "الفرنسة" بوصفها النموذج الذي يمكن القياس عليه، في ما يخص هيمنة اللغة "الأوربية" وسيادتها في مختلف بلدان الغرب الأفريقي، بالإضافة إلى أنها تعتبر اللغة الأشرس والأقوى تأثيرا في الثقافة لمنطقة بلاد السودان الغربي.

تمثل "الفرنسة" أو ما يعرف اصطلاحا بالفرنكفونية الإطار اللغوي والثقافي للتعليم والسياسة والفكر في أغلب دول غرب إفريقيا بشكل عام، وفي منطقة نهري السنغال والنيجر على وجه الخصوص، ولم تكتف الفرنكفونية بأن تكون إطارا لغويا محايدا بل تحولت مع الزمن إلى رؤية فكرية للحكم وإدارة لسياسة وفلسفة التعليم.

فاللغة الفرنسية اليوم هي اللغة الرسمية للتعليم والإدارة والفكر والفن والأدب في معظم بلاد السودان الغربي، بل إنها أصبحت جزء مهما من النسيج الاجتماعي في أغلب هذه الدول.

وباستثناء موريتانيا فإن الفرنسية هي اللغة الأولى والأهم في المستعمرات السابقة لفرنسا بالغرب الإفريقي، مع رسوخ قدمها وفعاليتها في موريتانيا أيضا، على الرغم من أنها لم تحل – شعبيا على الأقل – محل اللغة العربية ذات الامتداد الواسع في نسيج وأعماق ووجدان المجتمع الموريتاني.

وإذا كان بعض الأفارقة قد تعاملوا مع الفرنسية كغنيمة حرب وفق تعبير الكاتب الجزائري ياسين كاتب، وانطلقوا من الأدب الفرنسي للتعبير عن عدائهم ونقمتهم على فرنسا، فإن الغالبية العامة من الأفارقة تأثروا إلى حد كبير بفرنسا فكريا وثقافيا.

وقد أثرت الفرنكفونية سلبيا وبشكل بارز على الهوية الإسلامية في غرب إفريقيا من خلال مداخل متعددة منها:

أ. **السيطرة على التعليم**: الذي لا يكاد يُعرف له لسانٌ غير الفرنسية، وهو ما أقصى اللغة العربية التي كانت لغة التعليم والتأليف والمراسلات والإدارة قبل دخول المستعمر. فمثلا: في سنة 1925 بعث وزير المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا "ابريفي" رسالة إلى المسؤول الجهوي للتعليم في موريتانيا جاء فيها: "إن سياستنا في التهذيب (التعليم) لا يمكنها إلا أن ترتبط بسياستنا العامة في المستعمرات والتي لا يعدو التعليم أن يكون واحدا من أدواتها ومجالا من مجالات تحركها وإن كان هو أكثرها نجاعة وأهمية"[12].

ب. **اعتماد البرامج التعليمية الخادمة للمستعمر**: وفق رؤية معادية للإسلام ولغته العربية ومكرسة للغة الفرنسية، ويمثل هذا المنحى جزء أساسيا من المضمون الفرنكفوني في غرب إفريقيا، بحيث لا يتلقى التلاميذ أي فكرة ذات بال أو قيمة عن دينهم أو لغتهم. وفي هذا الإطار يصف أحد الإداريين الفرنسيين أهمية اللغة الفرنسية في تدعيم النفوذ الفرنسي وهيمنة حضارته وثقافته، حيث يقول: "إن تعليم لغتنا هي الوسيلة الأفضل لتدعيم نفوذنا لدى الشعوب التي نحتلها وجرهم إلى اعتناق أفكارنا الحضارية، فعن طريق نشر لغتنا نتمكن حقيقة من ممارسة هيمنة ذات فائدة وهو ما يمكننا في النهاية من إحراز تعاون مثمر مع الأشخاص الذين تنحصر مهمتنا في تعويدهم على أفكارنا وعاداتنا"[13]. وإمعانا في سياسته هذه، ومن أجل التأثير على المجتمع العازف عن المدارس الفرنسية "سعى الاستعمار إلى استيعاب بعض العلماء والشيوخ الذين كانوا يدرسون في الحلقات والكتاتيب لاستخدامهم كطعم لجذب الدارسين في الحلقات والكتاتيب إلى المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية التي أنشأها لصياغة هذه الفئة حسب خططه"[14].

ج. **فتح المدارس النظامية**: والعمل على جلب الطلاب إليها ترغيبا أو ترهيبا، واتخاذ أساليب ووسائل متنوعة وعديدة من أجل إقناع الناس بها، والتغلب على تحديات إحجام المجتمعات في بعض المناطق عن الالتحاق بهذه المدارس، "إن انتشار المدرسة الفرنسية في غالبية أجزاء موريتانيا، ورغم الثمن الباهظ الذي يكلفه ذلك، يفرضه عملنا ونوايانا الحضارية، وبناء على هذا الاعتبار يصبح دور المدرسة السياسي، أهم من دورها التهذيبي أو على الأقل يصاحب السياسي التهذيبي"[15]. ويعترف الفرنسيون بعزوف هؤلاء عن مدارسهم، حيث يقول الضابط J.Rosso في تقرير له: "إن إقبال أبناء البيظان ظل معدوما في السنوات الأولى، وإقبال أبناء الزنوج موجود لكنه ضعيف، لم يتجاوز خلال عامي 1905 و 1906، الأربعة والعشرين طالبا، بعد أن كانوا سبعة طلاب، رغم توفير منح دراسية لكل من يلتحق بهذه المدرسة"[16]. وقد كان الغرض من هذه المدارس هو طمس الهوية الثقافية والدينية للمجتمع وصياغة الأجيال وفق ثقافة وحضارة الغرب، حيث "استهدف التعليم الاستعماري ربط الأجيال الناشئة بمفاهيم خاطئة وقيم فاسدة، تشيد بقوة المستعمرين وتهدف إلى تقوية الولاء

للغرب وأساليبه، والتقليل من قيمة الحضارات والثقافات الوطنية وذلك بالتركيز على فصل الدين عن الحياة بإنشاء المدارس العلمانية"[17].

د. **محاربة اللغة العربية**: من خلال محاصرة وجودها في المدارس التقليدية، التي تعتبر في نظرهم قلاعا منيعة تواجههم في محاولة التأثير على هوية الشعوب الإسلامية والثقافية، فقد جاء على لسان أحد القادة الفرنسيين في موريتانيا ما نصه: "مثلت المحاظر خلال الفترة الاستعمارية قلعة حصينة للصمود والمناعة الثقافية... لقد انتصب في مواجهتنا عدو قديم وقوي هو تعليم المحاظر، الذي يتطلب قهره تبني سياسة مدرسية حكيمة وبذل مجهودات كبيرة"[18]. ولهذا شن هؤلاء حربا تشويهية قوية على هذه القلاع العلمية فوصفوها بأبشع الأوصاف والنعوت، وقللوا من أهميتها مستهدفين عنوانها الأبرز الذي هو القرآن الكريم، حيث يقول المستشرق الفرنسي فرانسيس دو شاسي (**Francis de chassey**): "إن التعليم القرآني بوصفه تعليم شعائر وألفاظ، لا معنى لهما بالنسبة للأطفال، وبوصفه تمرين حفظ لا يرقى إلى مستوى تمرين للفكر، فكيف به والحال هذه أن يصل إلى أفكار الأطفال؟ قد ينوم في أحسن الأحوال نشاطه الناشئ ويجعله ينحرف عن المجهود الفكري في المقابل، تلك هي نهاية الحرية الجميلة التي تمتلكها هذه المدرسة المفتوحة في العراء، وبداية سطوة نظام متعجرف بقدر ما هو قاس يوشك أن يفقد فيه الطفل عفويته وتوازنه"[19]. ويضيف "دو شاسي" واصفا مدرس المحظرة: "لا يمارس المعلم أي تأثير أخلاقي إنما يكتفي بشحن الذاكرة، ولا يولي أي اهتمام لتعليمهم العقيدة الإسلامية التي يجهلها جهلا عميقا، إنه تاجر لغة عربية وكأي تاجر فإنه من النادر أن تجد لديه أفكارا سياسية دقيقة على الأقل أفكارا معبرا عنها بشكل صريح"[20].

ولم يكتف الفرنسيون بترسيم لغتهم على المستوى التعليمي فحسب؛ بل تجاوزوا ذلك إلى محاولة فرضها وترسيمها شعبيا، وفي هذا الإطار كتب الحاكم العام لأفريقيا الغربية الفرنسية رسالة إلى حاكم إقليم موريتانيا يوجهه فيها إلى ضرورة تغلغل اللغة الفرنسية شعبيا في موريتانيا، ويؤكد له على أن "الفرنسية مفروضة على أكبر عدد ممكن من الأهالي، وأن دراستها أصبحت إجبارية بالنسبة لكل من يطمح إلى زعامة مجموعة ما، ويجب علاوة على ذلك، أن نجد في كل قرية ومدينة بعيدة كانت أو قريبة من يتكلم بالفرنسية ليس فقط زعيمها، وإنما في صفوف مواطنيها"[21].

وقد عزز المستعمر الفرنسي خطته هذه بأداة أخرى كانت أمضى سلاحا وأشد فتكا وتأثيرا، حيث عمد إلى السيطرة على وسائل الإعلام والفكر والثقافة واستطاع أن يسخرها لأهدافه وأغراضه، فأصبحت تنطق فكرا

وثقافة وإخبارا بلسانه وهويته الغربية، مما سلب كثيرا من الأفارقة في المنطقة انتماءه الحضاري للثقافة الإسلامية، ووعيه الثقافي ومشاركته في حمل هموم الأمة الإسلامية والإحساس بها.

واستطاع من خلال وسائل الإعلام ترسيخ كثير من مفردات الانتماء الغربي، وتوطين الروايات الغربية تجاه الإسلام وقضاياه الأساسية، مثل التعليم الديني واللغة العربية وحقوق المرأة وقضية فلسطين، وجعل صفا كبيرا من النخب السياسية والثقافية مجرد أبواق ببغائية تردد نفس المقولات والآراء والنظم الفكرية السائدة لدى الغرب، بل تتخذ منها مناهج وأطرا لتفسير الإسلام عقيدة وتشريعا وفكرا، والعمل على محاصرة المجتمع وتغيير قيمه الدينية والحضارية. إذ نجح الفرنسيون إلى حد كبير في نشر اللغة الفرنسية داخل المجتمعات، وتجريدها من خصوصياتها، وجعل ثقافتها وتفكيرها يصب في نفس مجرى الثقافة والفكر الفرنسي وخلق مجتمعات تدين بالولاء لفرنسا.

والواضح من هذه السياسة أن المستعمر كان يهدف إلى صياغة وتشكيل مجتمعات وشعوب بلاد السودان الغربي وفق رؤيته، وكان يعمل جاهدا من أجل اجتثاث جذور حضارتها وهويتها الثقافية والدينية، وتمثلت سياسته التعليمية المتبعة – منذ احتلاله لموريتانيا – في محاولة إعادة تصنيع المجتمع الموريتاني على المقياس الفرنسي، بحيث يخدم الأطماع والتوجهات السياسية الفرنسية فقط.

ويرى بوها محمد عبد الله سيدي الأستاذ في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بموريتانيا، أن الفرنسيين وقفوا على التعليم المحظري في موريتانيا من جميع جوانبه، سواء تعلق الأمر بالمناهج التربوية المتبعة والكتب المقررة في التدريس، أو من حيث المكانة التي تحظى بها في هذا المجتمع، والدور الذي لعبه علماء المحْظرة[22] في تحصين المجتمع الشنقيطي ونشر الإسلام في غرب إفريقيا، ومحاربتهم للتنصير كذلك، فكانت مصدر قلق لهم، فجاء الدافع هو التعرف عليها عن قرب قصد كبح عطائها وطمس إشعاعها العلمي والثقافي[23].

ولم تكن موريتانيا سوى مثال غير حصري للمنطقة من حيث تشبثها بالهوية والثقافة العربية الإسلامية، بل إن هناك شعوبا وبلادا أخرى في السودان الغربي شكلت هي الأخرى قلعة حصينة ومنبعا أصيلا للغة العربية والثقافة الإسلامية باعتراف الغربيين أنفسهم، ونالت حظها من الاستهداف في هويتها الثقافية العربية والإسلامية، حيث يعترف "دي شاسيه" بأن بلاد تكرور كانت موردا ورافدا للدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي، فيقول إن "للتكرور مستوى في اللغة العربية وفي الدين أرفع من مستوى الإثنيات الزنجية الأخرى فلن تطبق عليهم نفس السياسة بمستوى من التبصر أقل"[24].

ومن أشد صور الحرب فداحة على اللغة العربية في السودان الغربي ما واجهه الحرف العربي من استهداف بغرض استئصاله، بعدما كان معتمدا في كتابة اللغات الأفريقية المحلية ومنها الفلانية والسواحيلية والهوساوية[25]،

واستبداله بالحرف اللاتيني، فقد "كانت المواجهة أول الأمر حربا على الحرف العربي، كما هي على اللغة العربية والدين الذي ينطق بها، ثم كانت تمكينا للحرف اللاتيني في الأرض الإفريقية، وكانت الدعوة لهذا الحرف دعاية ضد الحرف العربي، فيها من المغالطات ما لا يخفى على ذي عينين"[26].

لقد استطاعت القوى الغربية أن تفرض وجودها وترسخ ثقافتها وتترك بصماتها في الحياة التعليمية والثقافية لهذه البلاد، بل إنها نجحت في تكوين جيل من أبناء المنطقة يحمل فكرها ويسعى إلى تطبيق سياستها حتى بعد رحيل المحتل عن هذه الأرض، فقد عقدت مؤتمرات وندوات وملتقيات عديدة تبحث في طرق كتابة اللغات في السودان الغربي رعتها منظمات ووكالات دولية (اليونسكو، التعاون الثقافي والتقني "ACCT")، وكان الغرض منها هو التأطير والتوجيه ثم الترسيم للحرف اللاتيني بدل الحرف العربي في كتابة لغات الشعوب في هذه البلاد، ومن أمثلة هذه المؤتمرات والندوات: مؤتمر باماكو 1967 وملتقى كوتونو 1975 والندوة الدولية في نيامي 1978، وانتهت كل هذه المجهودات الحثيثة باعتماد اليونسكو لأبجدية أفريقية مرجعية موحدة تعتمد الحرف اللاتيني وذلك سنة 1980[27].

3.دور وتأثير التنصير في محاولة طمس الهوية:

إن التنصير كما هو معروف عبارة عن حركة منظمة ظاهرها ديني يسعى إلى نشر الدين المسيحي بوسائل مختلفة، إلا أن الحقيقة التي لا يدركها كثير من الناس هي أن التنصير في جوهره "مؤامرة صليبية عالمية استعمارية توسعية تستهدف السيطرة على العالم وفي المقدمة العالم الإسلامي"[28].

لقد انتشرت الثقافة العربية والإسلامية في منطقة السودان الغربي وتفاعل الأفارقة مع اللغة العربية بوصفها لغة دين وعنوان هوية، "فانتبه الأوروبيون لذلك، مما دفعهم للانطلاق من هذه الخصوصية في وضع سياساتهم الاستعمارية الهادفة الى محاربة مقومات الحضارة الإسلامية التي احتلت منزلة رفيعة في السودان الغربي خاصة خلال فترة الخلافة ببلاد الهوسا في القرن التاسع عشر، حيث أدرك المستعمرون خطورة اللغة العربية على وجودهم الاستعماري فحاولوا إزالتها من هذه المكانة الرفيعة، فشجعوا الإرساليات والطوائف المسيحية في هذه البلاد ويسروا لها كل السبل والوسائل لنشر الدين المسيحي والثقافة الغربية في أفق التمهيد للاستعمار"[29].

كان التنصير إذن إحدى الوسائل الأساسية والفعالة التي استخدمها الغرب في محاولاته الرامية للسيطرة على المنطقة ولطمس هويتها الثقافية والدينية، وبالفعل "مع بداية القرن 19 م توغلت حركة الكشف الأوربية في الداخل الإفريقي بما في ذلك عمق إفريقيا الغربية، فكثرت البعوث والإرساليات الدينية التنصيرية ثم تبعتها حركات الاحتلال الأجنبي الذي فتح الطرق المسدودة أمام التنصير فكان هذا القرن حقا هو العصر الذهبي للتنصير في

إفريقيا.. ولم يبدأ القرن العشرون إلا وكان للمسيحية تواجدها المحسوس والملموس والمرئي بشتى مذاهبها ومللها وكنائسها"[30].

وكان مبتدأ البعثات والإرساليات التنصيرية في المنطقة بشكل خاص من ليبيريا والسيراليون ونيجيريا، وقاد هذه البعثات منصرون أوربيون معززون بمسيحيين أفارقة، صنعوا على أعين الكنائس الغربية، وكان لهم دور كبير جدا في تحطيم أسوار الممانعة الوثنية في المناطق الأولى التي أنشبوا فيها مخالب التنصير في غرب إفريقيا.

فقد "نزلت أولى البعثات البروستانتية إلى منطقة ليبيريا وكانت تبشر بالمذهب الميثوديستي. وتكونت هذه البعثة من خليط من المنصرين البيض وعدد من القساوسة الزنوج الذين يجيدون الإنجليزية. أما البعثة الثانية فقد نزلت في سيراليون وكانت تابعة لجميعة التنصير الكنسي وبلغت من النشاط مستوى كبيرا جعل من سيراليون مركزا لكل البعثات التنصيرية التي تعمل في غرب أفريقيا. وأتت البعثة الثالثة من مدينة بال Bale السويسرية ونزلت في منطقة ساحل الذهب (غانا الحالية)"[31].

تحركت القوى الاستعمارية في ثوبها التنصيري على ما يبدو وفق ثلاث جبهات، متوزعة الأدوار ومحكمة التخطيط والبرامج، ولم تكتف هذه القوى بالإرساليات والبعثات ذات الطابع المذهبي الواحد (البروستانت)، وإنما عضدت مجهوداتها تلك بعمل مدني اجتماعي وشعبي أعطى للعملية بعدها الميداني وعمقها الاستراتيجي وشمولها المذهبي، فقد عملت إلى جانب البعثات البروستانتية بكل مذاهبها ثلاث هيئات كاثوليكية، هي: آباء روح القدس، و"ليون" و"الآباء البيض"، فكان للهيئة الأولى نشاطها في السنغال كما بذلت جهودا ضخمة في غينيا السفلى، وركزت جمعية "ليون" عملها سنة 1959 بمدينة فريتاون عاصمة سيراليون. في حين عملت "جمعية الآباء البيض" للسيدة العذراء على اختراق جبهة مالي حيث أرسلت عام 1875 ثلاثة منصرين إلى تمبكتو غير أن قبائل الطوارق تصدوا لهم وقتلوهم[32].

وغاظ القوم أن في الأرض التي يغزونها أصالة عريقة وتعلقا بالإسلام وبثقافته العربية الإسلامية وحضارته وقيمه الأصيلة وتعاليمه الراقية، حيث "وصلت جحافل الأروبيين الغزاة إلى غرب أفريقيا فوجدت حضارة عربية إسلامية زاهرة ومتأصلة في نفوس الشعوب في غرب القارة، ووجدوا أمما تؤمن بالله ربا وخالقا وبمحمد رسولا وهاديا، وبالقرآن الكريم دستورا لتشريعها وباللغة العربية لغة العقيدة، بالإضافة إلى مظاهر الحضارة الإسلامية في كل فروع الحياة الأفريقية"[33].

ولم يكن رسوخ قدم الإسلام في المنطقة محصورا في الجانب الأخلاقي والتربوي فقط بل إن الأمر تعدى ذلك إلى الحكامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك ما دفع الأروبيين إلى تكثيف أعمالهم وتسريع وتيرة استهدافهم لطمس الهوية واقتلاع جذور الإسلام من أعماقها في المنطقة، حيث يقول الدكتور آدم عبد الله الإلوري، في كتابه **الإسلام في نيجيريا**: "ولما جاء المستعمرون والمبشرون غاظهم كل الغيظ أن يلتقوا في غرب أفريقيا، ليس

دينا متمكنا في النفوس فحسب، ولكنه قوة حاكمة، ودولة قائمة، فلبسوا للمسلمين جلود النمر، وصلَّتوا عليهم سيوف المكر، وشمروا عن ساعدهم في سبيل القضاء على آثار الإسلام بكل جائز ومستحيل، حتى ضربوا الثقافة العربية بثقافتهم الإفرنجية، وهدموا بنيان علماء الإسلام بمعارك قساوسة الصليب، وبدلوا الشريعة بالقانون، وطاردوا الفقهاء من الدواوين، وأحلوا محلهم المحامين، وأغروا طلاب اللغة العربية بتعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية، حيث تغلغلوا في القرى والأرياف، واقتنصوا أبناء الفلاحين وأغروهم بالأموال، وأرسلوا من آمن بالصليب منهم إلى أروبا ليكملوا بها علومهم وليرجعوا إلى بلادهم زعماء معتبرين لدى الخاص والعام. فلا جرم أن يحارب الاستعمار التعليم العربي بالتعليم الغربي بغية تحويل المسلمين عن دينهم، أو تسميم مناهج التعليم نفسه عليهم حتى يصبح المسلمون أنفسهم معادين للإسلام وثقافته فترسخ أقدام المستعمرين في بلاد الإسلام وتشييد النصرانية على أنقاض الإسلام"[34].

كانت اللغة العربية إذن محل تركيز من هؤلاء بوصفها حامل الثقافة الإسلامية ووعاءها الحضاري ولسان هويتها، وترى د. أم الفضل الصابر ماء العينين في دراسة لها عن واقع لغة الضاد بالمؤسسات التعليمة بأفريقيا جنوب الصحراء أن من أبرز التحديات التي واجهت اللغة العربية "التبشيرَ وما يضعه من خطط مدروسة واستراتيجيات دقيقة بغية التغلغل داخل نسيج الثقافة العربية الأفريقية، ومن ثم نقض صروح هذه الثقافة وإقامة صرح ثقافي أفريقي أروبي مكانها"[35]. وتستطرد د. أم الفضل في هذا المجال مؤكدة أن القوى الاستعمارية التنصيرية غالبا ما تلجأ إلى تشجيع "العامية" حين تجد أن اللغة العربية كاسحة ولابد منها في هذه الدولة أو تلك، "وتحارب الفصحى لأن العامية تتعدد لهجاتها، فتفرق في حين أن الفصحى توحد"[36].

ولم يكتف هؤلاء بمثل هذه الأساليب والأعمال التخريبية لثقافة ولغة المجتمع ودين الدولة بل تجاوزوا الحد وأبعدوا النجعة حينما عملوا على إذكاء الخلافات وبث النعرات القبلية والقومية والعرقية، حيث "تخصصت جماعات المستشرقين والمبشرين في إذكاء نار الخلافات المذهبية والقبلية بين المسلمين، والتشجيع على توسيع الهوة بين المختلفين وإعادة نيران الفتن بعد أن تلاشت بمرور الزمن، وذلك عن طريق ما قام به المنصرون والمستشرقون من دراسات وبحوث وما سجلوا في دوائر المعارف المنتسبة إليهم والمتخصصة في الإسلام والمسلمين، وعن طريق ما قاموا به من عقد مؤتمرات أكدوا فيها مقررات غاية في الخطورة، وعن طريق ثالث هو تعمدهم تشويه الفكر الإسلامي، وتهجمهم على الإسلام والقرآن والسنة النبوية وشخص الرسول عليه الصلاة والسلام، وتشويههم للحضارة الإسلامية وللتاريخ الإسلامي وللتراث الإسلامي عن طريق رابع هو إشاعة النظم السياسية والنظم الاجتماعية والاقتصادية الغربية بين الشعوب الإسلامية بقصد القضاء على النظم الإسلامية للسياسة والاجتماع والاقتصاد لينعزل المسلمون عن دينهم منهجا وحركة ونظاما"[37].

وعمدت القوى التنصيرية الاستعمارية إلى مراجعة وتحديث خططها وبرامجها من خلال الدراسات والبحوث وجمع المعلومات وتقويم الانحرافات التي يرتكبونها أثناء تنفيذ خططهم وأعمالهم، وذلك من أجل إحكام العمل وتحقيق أهدافه الاستراتيجية، وهكذا؛ "مع بداية القرن العشرين تنبهت الكنائس الغربية إلى أخطائها في أساليب الدعوة على سواحل أفريقيا، ففرضت على أعضاء البعثات والإرساليات اتباع خطط مرسومة تقضي بدارسة تلك البيئات دراسة شاملة وتفهم نظمها الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها ولغاتها"(38).

وفي هذا الاتجاه سارت ركائب الاستعمار لعموم بلاد السودان الغربي، فطفق المنصرون ينفذون خططهم وبرامجهم لمسخ واستلاب الهوية الثقافية والإسلامية العربية من هذه البلاد وفي كل الاتجاهات، حيث يقول المنصر الفرنسي شارل دوفوكو: "إذا لم نعرف كيف نجعل هؤلاء الشعوب فرنسيين فسيخرجوننا من أرضهم، والوسيلة الوحيدة لجعلهم فرنسيين هي جعلهم مسيحيين"(39).

لقد كان لجهود التنصير المكثفة والمتنوعة مخاطر كبيرة ونتائج وخيمة وآثار سلبية فادحة في معظم مناطق بلاد السودان الغربي، ولا بأس بالتوقف بشكل مجمل لا يتوخى التفصيل في الحديث عن نتائج وآثار هذه الجهود عند واحد من النماذج التي أولاها المنصرون اهتمامهم الخاص وجعلوها مركزا أساسيا للتنصير في المنطقة، ويمكن القياس على هذا النموذج لباقي مسار عملية التنصير في عموم السودان الغربي.

ففي السنغال: بدأ مسار التنصير في وقت مبكر خلال فترة السيطرة البرتغالية على السواحل، ثم تطور إلى حد تنصيب "ديوانت" DUVANET رئيساً للأساقفة بالسنغال سنة 1763م وكان قد ركز النشاط التنصيري على سين لوي وغوري. وفي سنة 1822م نزلت المنصرة "جاوويه" JAVOUEH مدينة سان لويس، ومن جهود هذه المنصرة أنها أعادت تنظيم مدينة سان لويس، وأقامت مدارس كاثوليكية في كل من سان لويس وغوري، كما أسست جمعية: أخوات سينت جوزيف وعادت إلى فرنسا بصحبة ثمانية من الشبان السنغاليين ليتلقوا تكوينهم الديني في فرنسا"(40).

لقد كانت السنغال مقر ارتكاز في مسيرة استكشاف وتنصير على طول نهر السنغال إلى منطقة باكل. وفي غضون 30 سنة من العمل، أي في حدود 1880، كان للتنصير مراكز أساسية في السنغال، من أبرزها منطقة جوال (doial)، وفاجوت (fadiout)، وبوبانغين (popanguine). قبل أن يتوسع إلى منطقة سان لويس، ممتدا بعد ذلك إلى مناطق سيجو، وفونجي، وزيغنشور، "وأصبحت سان لويس عاصمة للاتحاد مما يدل على اهتمام فرنسا بالسنغال على اعتبار أنها المستعمرة المفضلة، وقد ظهر التأثير الفرنسي بوضوح في هذه المناطق من حيث انتشار اللغة الفرنسية والمدارس والبعثات التبشيرية"(41).

وقامت على أرض السنغال العديد من المنظمات التنصيرية التي لبست لبوسا خيريا أحيانا واجتماعيا وثقافيا أحيانا أخرى، ومن هذه المنظمات ما يتستر وراء أسماء جميلة ومغرية ومنها ما يكشف اسمه عن هويته وأهدافه. وبلغت أعداد هذه المنظمات زهاء 15 منظمة تنصيرية، منها على سبيل المثال لا الحصر شبيبة العال الكاثوليك، وهيئة الإغاثة العالمية الكاثوليكية ومنظمة دابليو إف دي الألمانية ومنظمة أرض الرجال الفرنسية السويسرية، والبعثة الإنكليزية الأمريكية، وغيرها(42).

وقد أثمرت جهود التنصير في السنغال بالفعل، حيث تظهر بعض الإحصائيات الغربية أن الفرنسيين استطاعوا تنصير قرابة 50 ألف شخص في السنغال قبيل الحرب العالمية الثانية، وغالبية هؤلاء من البيئات الوثنية، وقد ازدادت وتيرة التنصير خلال عقود ما قبل الاستقلال، من خلال إنشاء مدارس ومستشفيات وإرساليات، ضمن استراتيجية توسع وترسيخ تكللت باختيار رئيس مسيحي لبلد يمثل المسلمون أكثر من 90% من سكانه(43).

ومكن التغلغل المسيحي كذلك من بناء نظام تعليمي وسياسي وثقافي على أسس ركينة من العلمانية التي حاصرت الهوية العربية والإسلامية، كما أسفر عن رفع أعداد المسيحيين في هذا البلد المسلم إلى قرابة 300 ألف شخص وفق إحصائيات أعدت 2015، ويحظى هؤلاء بفرص تعليمية أكثر من المسلمين، حيث أن 12% من السكان المسيحين حاصلون على شهادات ما بعد الثانوية، مقابل 3% فقط من المسلمين الحاصلين عليها(44).

المبحث الثاني

انعكاسات وآثار السياسات الغربية على الهوية الإسلامية في المنطقة:

1. آثار وانعكاسات على مستوى الهوية الدينية:

. يمكن رصد مجموعة كبيرة من المؤشرات تشكل نتائج وآثار بادية للتأثير الأوربي الغربي على منطقة السودان الغربي وما شهدته خلال رحلة قرنين من الاستعمار والفرنسة والتنصير، وذلك على مستوى الهوية الدينية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **نشر الردة وتبسيط التحول الديني:** وهو مؤشر من أهم وأخطر تحولات التنصير في المنطقة، حيث رصدت الأرقام السابقة انتقال عشرات الآلاف من أبناء المسلمين إلى المسيحية وهو ما يعني خللا في الجهاز الدعوي والفكري للعمل الإسلامي في هذه البلدان، كما أنه يظهر حجم المضايقات أو القيود التي يواجهها التعليم الإسلامي في هذه البلدان. ومع مرور الوقت أصبحت الردة ظاهرة عادية في شعوب عدد من هذه الدول، وقد تطورت الأمور إلى درجة ظهر فيها، في الوقت الراهن، ما يسمى بالتعددية الدينية

التي أصبحت هي الأخرى ملمحا من الملامح الفكرية في هذه البلدان، وخصوصا في صفوف المثقفين والشباب الذين لا يحملون زادا علميا ولا تربية عميقة، مما جعلهم عرضة لفكرة الدين الجامع، أو فكرة أن الأديان كلها تؤدي نفس الوظيفة وتتناوب فيما بينها(45).

- **مزاحمة الإسلام في جمهور الدعوة:** وذلك باقتطاع جزء كبير من السكان الوثنيين وتحويلهم عن حياض الإسلام إلى وحل المسيحية، وهو ما يعني خسارة شديدة للجهد الدعوي الذي غلبته سطوة التنصير وزفرته على السبق إلى قلوب هؤلاء وعقولهم. ففي نيجيريا مثلا كانت مدارس الإرساليات التنصيرية تستوعب ثلثي الدارسين خاصة في قبائل الجنوب من يوربا وإيبو(46).

- **محاربة المد الإسلامي:** ومضايقة أنشطته تحت شعارات تحديث التعليم الأهلي، ومحاربة التطرف وغيرها من الشعارات التي أدت وظائف أخرى مناقضة لعنوانها المعلن. فقد اعتمد الاستعمار الفرنسي مثلا سياسة التضييق على العلماء والمشايخ في غرب أفريقيا، حيث "فرض رقابة مشددة على كافة أنشطتهم وحاول إخضاع نشاطهم التربوي لرخص خاصة لا تسلمها الإدارة الاستعمارية إلا لمن تثق فيه، ومنع حركتهم وتنقلهم من مدينة إلى مدينة أو من قرية إلى قرية إلا بتصريح مرور خاص، وسد أمامهم وأمام غيرهم من المسلمين سبل السفر للحج خوفا من اتصالهم ببقية المسلمين"(47).

2.آثار وانعكاسات على مستوى الهوية الثقافية:

إلى جانب المؤشرات السابقة الحاصلة على المستوى الديني، وتبعا لها، توجد هنالك مجموعة من الانعكاسات والآثار الحاصلة على المستوى الثقافي ، جاءت نتيجة لسياسات الغرب في المنطقة، ومن أبرزها:

- **تهميش اللغة العربية:** وجعلها لغة ثانوية وهي مسألة لها انعكاساتها السلبية على الشرع والدين وفهمه وتطبيقاته، وقد وصل الأمر إلى أن معظم الكيانات السياسية القائمة في المنطقة، والتي صنعت على أيدي المستعمر، حاربت اللغة العربية وعملت على الحد من انتشارها "فأدى عدم استخدام اللغة العربية في البلدان الأفريقية الإسلامية إلى انتشار لغة المستعمر، سواء كانت الفرنسية أم الأنجليزية أم البرتغالية أم الإسبانية. وهذه من العوامل التي كانت عائقا في انتشار الإسلام"(48).

- **اقتناص النخب والمواهب:** حيث توفر المؤسسات التعليمية المرتبطة بالغرب مناهج وسياسات وشخصيات في معظم بلدان المنطقة، النوعية الأجود من التعليم مقارنة بمدارس التعليم العمومي، ومن باب أحرى بالمدارس العربية والإسلامية التي ضاقت أمامها الفرص التشغيلية في أسواق العمل، وهذا الأمر

يجعلها قبلة للمواهب والنخب حيث نجحت في تكوين وتأهيل النخب التي تدين بالولاء للسياسات الغربية وتجد في الغرب نموذجا ومثالا للحضارة والرقي والتقدم(49).

- **كسب ولاء النخب السياسية:** المتحكمة في مختلف مفاصل وتفاصيل الحكم والسياسية وصياغة الوجدان العام للشعوب الإفريقية. والتي هي صنيعة السياسات الغربية فكرا وثقافة وتعليما، وقد مر بنا كيف استطاعت القوى الغربية صناعة طبقة سياسية مشبعة بالفكر والثقافة الغربية، تدافع عن السياسة والفكر الغربي وعن حضارته وقيمه(50).

ولئن كانت بلاد السودان الغربي قد تعرضت لخطر السياسات الغربية الهادفة إلى بسط النفوذ والسيطرة وطمس الهوية الثقافية العربية الإسلامية وذاقت من علقمها، غير أن جذوة الإسلام وقيمه وأخلاقه بقيت عصية على الاقتلاع في معظم تلك الأراضي، إذ لم تفلح تلك السياسات، بشكل عام، وما بذل فيها من أموال طائلة واستخدم فيها من أساليب مختلفة لمسخ الحضارة وطمس الهوية الثقافية والإسلامية في السودان الغربي، لم يفلح كل ذلك في القضاء على جذوة الإسلام والثقافة العربية حية في نفوس شعوب المنطقة.

فقد ظلت في هذه البلاد دعوات يعززها تمسك وتشبث بالهوية ولا أدل على ذلك من الصحوة المتصاعدة المطالبة بالعودة إلى الأصول والجذور التاريخية لثقافة شعوب المنطقة المتأسسة على الدين الإسلامي واللغة العربية، بالإضافة إلى الغلبة السائدة لأعداد المسلمين في المنطقة خصوصا في المناطق التي كانت محل تركيز وأولوية لدى المنصرين والغرب (السنغال، مالي، نيجريا، النيجر..)، ولعل السبب في ذلك عائد إلى أن طبيعة الزنوج وعاداتهم أقرب بكثير هي إلى الإسلام وسماحته وبساطته منها إلى المسيحية.

خاتمة:

الواضح أن الغرب الأوربي قد انتهج سياسات محكمة لطمس الهوية العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي خلال الفترة المعاصرة من تاريخ هذه المنطقة، وقد نجحت هذه السياسات إلى كبير في التأثير على هذه الهوية التي عرفت من قبلُ انتشارا وازدهارا للإسلام ولغته العربية، وقد تمكن الأوربيون من فرض اللغة الأجنبية على معظم دول المنطقة واعتناق طيف معتبر للمسيحية بعد أن كانت تدين بالإسلام إضافة إلى تكوين وتأهيل أعداد كبيرة من النخب متشبعة بالفكر الغربي وتؤثر أفكاره وأطروحاته على ما سواها.

ورغم ذلك، فما زال الإسلام دين الأكثرية في معظم مناطق هذه البلاد، بالإضافة إلى ما تشهده بعض بلدان المنطقة من صحوة تنمو باطراد، تنادي بضرورة العودة إلى الثقافة العربية الإسلامية وإحياء قيم المجتمع الحضارية والدينية المنبثقة من الإسلام ولغته العربية. وهو ما يمكن تسميته اليوم بحركة الاستعراب.

وعموما يمكن الخروج من هذه الدراسة بالخلاصات التالية:

1. أن الأبعاد الاستراتيجية لتأثير ونفوذ القوى الأوربية في بلاد السودان الغربي متأصلة ومتجذرة منذ فترة في المنطقة، تعززها رغبتهم الجامحة في محاربة الإسلام وجذوره الحضارية ولغته العربية.
2. أن الأوربيين قد نجحوا إلى حد كبير في تمرير سياساتهم وخططهم الهادفة إلى طمس الهوية الدينية والثقافية لمنطقة بلاد السودان الغربي.
3. أن المنطقة قد عرفت ازدهارا وانتشارا للثقافة الإسلامية واللغة العربية ما تزال آثاره بادية لحد الآن في بعض دول المنطقة، ومن هنا فإن جهود التعريب، ومساعي إعادة الاعتبار للثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا الغربية، لها ما يبررها تاريخيا، بوصفها أحد أهم أصول الهوية الثقافية والدينية لشعوب المنطقة.

قائمة المراجع:

1. أبو القاسم بن حوقل النِصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص: 24 – 25
2. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار الكتاب المصري، 1435هـ/2014
3. افال موسى، اللغة العربية في نظام التعليم السنغالي، الطبعة الأولى 2005.
4. إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، دار المريخ للنشر– الرياض، 1988
5. بول ماريتي، مغرب الغد، سنة: 1925.
6. بوها محمد عبد الله سيدي، تأثير الاستشراق على الهوية الشنقيطية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيد محمد بن عبد الله، فاس – المغرب، 2016/2015، ص: 26
7. تقرورت سليمة ودحومان هالة، حركة التنصير في السودان الغربي بين القرنين التاسع عشر والعشرين، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأفريقية، جامعة الجيلالي بونعامة، الجزائر، السنة الجامعية: 2016 – 2017
8. حد أمين بن إسلمو: التعليم في موريتانيا (1960–1990) بحث لنيل شهادة التعمق في البحث، قسم اللغة العربية، جامعة تونس الأولى 1992.
9. خضر، عبد العليم عبد الرحمن، الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، السنة السادسة عشر، العدد: 182، عام 1418هـ.
10. خليل النحوي، أفريقيا المسلمة، الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1: 1993

11. خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم، تونس 1987
12. سامي سعيد، تاريخ المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء إلى القرن 19م، وحدة تاريخ المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء، مؤرشف بتاريخ 16/يناير/2020
13. سمية تونسي، ونور الهدى أقرابو، الحواضر العلمية في السودان الغربي ما بين القرنين (07-10هـ /13-16م) (غاو) نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية، الجزائر.
1. سيدي غالي لو: "التنصير في إفريقيا السنغال نموذجا"، مجلة البيان، العدد 081.
2. عبد الله، أبو إسلام أحمد، تاريخ الوجود التنصيري في أفريقيا http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000008.html. (2004/12/08)
3. عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى: 1406.
4. عبد الله أبو إسلام أحمد، تاريخ الوجود الوجود التنصيري في أفريقيا، مجلة البيان، العدد 154، جمادى الثانية 1421
5. فرانسيس دي شاسيه: موريتانيا من سنة 1900 الى سنة 1975، ترجمة محمد بن بوعلية، دار جسور، نواكشوط 2013.
6. الغنيمي عبد الفتاح مقلد، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، القاهرة، جامعة القاهرة، بدون تاريخ.
7. المعهد التربوي الوطني؛ تاريخ موريتانيا وتاريخ الحضارة الإسلامية.
8. مجموعة مؤلفين، دراسات في جهود علماء أفريقيا في نشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية، دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي – ليبيا 2021
9. مصطفى نصر السلاتي، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، دار إقرأ طرابلس، ليبيا، ط 1، 1986.
10. محمد الراظي بن صدفن: المدرسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا ومجتمع البيضان، مجلة مصادر، العدد الثالث، نواكشوط 2002.
11. محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كربدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 2007.
12. محمدو بن محمدن: المحظرة الموريتانية ودورها في غرب إفريقيا، مجلة البحوث والدراسات العربية، سنة: 2005.
13. محمود عبد الرحمن: التنصير والاستغلال السياسي، دار النقائص بيروت 1430هـ-2009م، ط1.
14. نعيمة عبد الجواد، الإبراهيمية الجديدة وخدعة التسامح، رابط: https://alantologia.com/blogs/46590 تاريخ االنشر 18/يوليو/2021، تاريخ الاطلاع: 2022/12/20
15. يعقوب علي، جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة العربية الإسلامية، غرب أفريقيا نموذجا، مجلة قراءات أفريقية، العدد 03، ديسمبر 2008م.
16. J.Roos, l'adjoint au commissaire,:Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble),P :54. Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement 1908
17. Vincent Monteil – L'islam noir / Ed du Sail – paris 1980

الهوامش:

1) أبو القاسم بن حوقل النِصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص: 24 – 25.

2) سمية تونسي، ونور الهدى أقرابو، الحواضر العلمية في السودان الغربي ما بين القرنين (07-10هـ /13-16م) (غاو) نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية، الجزائر. ص: 13.

3) محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، ب، ت، بيروت، لبنان، ص: 21 – 22.

4) معهد البحوث العربية (2002)، مجلة الدراسات والدراسات العربية – معهد الدراسات والبحوث العربية، مؤرشف من الأصل في 2020/11/19.

5) عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط1: 1406، ص: 151.

6) خضر، عبد العليم عبد الرحمن، الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، السنة السادسة عشر، العدد: 182، عام 1418هـ، ص: 126 – 127 .

7) للتوسع في الاطلاع انظر: دراسات في جهود العلماء، ج2، مرجع سابق، ص: 131.

8) بول مارتي، مغرب الغد، سنة: 1925، ص: 241 .

9) افال موسى، اللغة العربية في نظام التعليم السنغالي، ط1، 2005، ص: 38.

10) انظر: دراسات لجهود العلماء، مرجع سابق، ج2، ص: 102.

11) المعهد التربوي الوطني؛ تاريخ موريتانيا وتاريخ الحضارة الإسلامية، ص: 30.

12) فرانسيس دي شاسيه: موريتانيا من سنة 1900 الى سنة 1975، ترجمة محمد بن بوعليبة، دار جسور، نواكشوط 2013 ص: 124 .

13) محمد الراظي بن صدفن: المدرسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا ومجتمع البيضان، مجلة مصادر، ع3، نواكشوط 2002 ص: 107.

14) دراسات في جهود العلماء، ج2، مرجع سابق، ص: 16 .

15) محمد الراظي بن صدفن: المدرسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا، مرجع سابق، ص: 147.

(16) J.Roos, l'adjoint au commissaire,:Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble),P :54. Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement 1908.

17) محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كربدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 2007 ص: 166.

18) محمدو بن محمدن: المحظرة الموريتانية ودورها في غرب إفريقيا، مجلة البحوث والدراسات العربية، سنة: 2005 ص: 201.

19) فرانسيس دو شاسى (Francis de chassey)، موريتانيا من سنة 1900 إلى 1975 ، ص: 126 . ترجمة محمد ولد بوعليبة، دارجسور للنشر.

20) فرانسي س د و شاس ى) Francis de chassey ، موريتاينا من سنة 1900 إلى 1975 ، ص . 126 :ترجمة محمد ولد بوعليبة، دارجسور للنشر.

21) حد أمين بن إسلمو: التعليم في موريتانيا (1960–1990) بحث لنيل شهادة التعمق في البحث، قسم اللغة العربية، جامعة تونس الأولى 1992 ص: 19.

22) هي مؤسسة تعليم أصلية يختص بها الفضاء الشنقيطي (موريتانيا)، تعتبر جامعة متنقلة تدرس فيها جميع العلوم الشرعية واللغوية وغيرها، وفق مناهج علمية محلية تقوم على حفظ المتون والمقررات في مختلف الفنون والمجالات العلمية، ويتخرج منها العلماء والفقهاء، وهي مفخرة الشناقطة ومعجزتهم التي بذوا بها العالم، وسادوا بها في المشرق والمغرب الإسلامي.

23) د. بوها محمد عبد الله سيدي، ص: 195.

24) فرانسيس دو شاسى (Francis de chassey)، موريتاينا من سنة 1900 إلى 1975 ، ص: 130 . ترجمة محمد ولد بوعليبة، دارجسور للنشر.

25) انظر: يعقوب علي، جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة العربية الإسلامية، غرب أفريقيا نموذجا، مجلة قراءات أفريقية، العدد 03، ديسمبر 2008م، ص: 17.

26) الخليل النحوي، أفريقيا المسلمة، مرجع سابق، ص: 63.

27) انظر: أحمد العابد، العربية في اللغات الأفريقية، مرجع سابق، ص 119 و Z. Dramani issifou in Les Relations. idem, p 36-37.

28) محمود عبد الرحمن: التنصير والاستغلال السياسي، دار النقائص بيروت 1430هـ–2009م، ط،1 ،ص:26.

29) سامي سعيد، تاريخ المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء إلى القرن 19م، وحدة تاريخ المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء، مؤرشف بتاريخ 16/يناير/2020.

30) محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كربدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العممية، بيروت– لبنان، ط1 2007 ص: 171 – 172 .

31) محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، نفس المرجع السابق، ص: 172 – 173 .

32) انظر بتصرف يسير: عبد الله، أبو إسلام أحمد، تاريخ الوجود التنصيري في أفريقيا . (2004/12/08) http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000008.html.

33) الغنيمي عبد الفتاح مقلد، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، القاهرة، جامعة القاهرة، بدون تاريخ، ص: 186.

34) آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار الكتاب المصري، 1435هـ/2014، ص: 149 – 150.

35) دراسات في جهود العلماء، ج2، مرجع سابق، ص: 62.

36) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

37) خضر، عبد العليم عبد الرحمن، الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، السنة السادسة عشر، العدد: 182، عام 1418هـ، ص: 126 – 127.

38) عبد الله أبو إسلام أحمد، تاريخ الوجود الوجود التنصيري في أفريقيا، مجلة البيان، العدد 154، جمادى الثانية 1421، ص: 63.

39) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر السلاتي، ص: 179 ، دار إقرأ طرابلس، ليبيا، ط 1، 1986.

40) سيدي غالي لو: "التنصير في إفريقيا السنغال نموذجا"، مجلة البيان، العدد 081 ، ص 80 – 81 .

41) إلهام محمد علي ذهني: **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، دار المريخ للنشر– الرياض، 1988، ص: 218 – 219.

42) حركة التنصير في السودان الغربي بين القرنين التاسع عشر والعشرين، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأفريقية، إعداد الطالبتين: تقرورت سليمة ودحومان هالة، إشراف الأستاذ الدكتور: بتقة إبراهيم، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، السنة الجامعية: 2016 – 2017، ص: 46 -47.

43) هذا الرئيس هو ليوبولد سيدار سنغور (Léopold Sédar Senghor) مولود 9 أكتوبر 1906 متوفى 20 ديسمبر 2001، شاعر ومفكر، كان أول رئيس للسنغال (1960–1980).

44) تقرورت سليمة ودحومان هالة، حركة التنصير في السودان الغربي الفرنسي، مرجع سابق ص: 51 -52.

45) راجع:د. نعيمة عبد الجواد، الإبراهيمية الجديدة وخدعة التسامح، رابط:
https://alantologia.com/blogs/46590 تاريخ االنشر 18/يوليو/2021، تاريخ الاطلاع: 2022/12/20

46) Vincent Monteil – L'islam noir / Ed du Sail – paris 1980, p 246.

47) خليل النحوي، أفريقيا المسلمة، الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1: 1993، ص: 100.

48) محمد فاضل عالي باري، سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1428/2007، ص: 166.

49) راجع: خليل النحوي، أفريقيا المسلمة، الهوية الضائعة، مرجع سابق، ص: 100، 116 .

50) راجع: خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم، تونس 1987، ص: 346.